د/ الحسين ريوش بلحسن

قراءة في الوثائق الحبسية وأهميتها العلمية:

وقفيات مخطوطات خزانة القرويين بفاس أنموذجا.

Reading in the Abyssinian Documents and their Scientific Importance:

in Fez "Qaraween "Documents of thelibrary of Model

د/ الحسين ريوش بلحسن جامعة محمد الأول

وجدة -المملكة المغربية.
bellahssane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/02/01 تاريخ القبول: 2019/05/29

تحمل هاته المقالة عنوان: (**قراءة في الوقفيات الحبسية وأهميتها العلمية: وقفيات مخطوطات خزانة القرويين أنموذجا**)، وهو موضوع أثار انتباهي من خلال الملاحظات التي سجلتها حول حالة هذه الوقفيات ودورها الفعال في حماية التراث الفكري، خاصة وأن بعض المخطوطات التي "نقشت" فيها تختزن تراثا فكريا إنسانيا مهما وضاربا في القدم،

ولذلك عقدت العزم على تقريب المهتمين والمسؤولين بوضعية هذه الوقفيات، والتعريف بها وبأهميتها العلمية.

ملخص:

للوثيقة الحبسية أهمية تاريخية تكمن في استحضار الأبعاد الثلاثة المطلوبة وهي الزمن والمكان والموضوع، وفي الكشف عن أسماء المخطوطات ومواضيعها وتواريخ كتابتها، وعن مؤلفيها ومواطنهم الأصلية، كما تُعرّف الباحث بعدد أجزاء المخطوط إن كان متعدد الأجزاء، وهو ما يساعد المهتمين بعلم المخطوطات والمحققين.

إن الوقفيات، ورغم الأضرار التي لحقت بها، كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على موروث فكري إنساني مهم وضارب في القدم، وفي توفير الكتب للمتعلمين والمدرسين والفقهاء والقضاة .... مما ساهم في رفع المستوى التكويني للطلبة وبالتالي في تخريج أفواج عديدة من العلماء في تخصصات علمية كثيرة، خاصة وأن هذه الكتب كانت

مواضيعها متنوعة شملت العلوم الشرعية، والتاريخية، والأدبية، والعقلية، واللسانية...

Abstract:

The Abyssinian document has a historical importance in invoking the required three dimensions: time (epoch, a period), place and subject, in revealing the names of the manuscripts, their topics and dates of writing, and their authors and their native countries. The researcher also knows the number of parts of the manuscript if it is multi-part, which helps those interested in the science of manuscripts and investigators.

The endowments, despite the damage done to them, have had great credit in preserving the heritage of human intellect important and harmful in the foot, and the provision of books for learners, teachers, scholars and judges ... This contributed to raising the level of students and thus the graduation of many groups of scientists in Many scientific specializations, especially since these books were varied subjects included the forensic sciences, historical, literary, mental, and linguistic ...

الكلمات الدالة: الوقفية الحبسية، المادة المحبسة، الشهادة، الحيازة، التوقيعات.

تمهيد:

تعتبر الوثيقة الحبسية من أهم مصادر الكتابة التاريخية نظرا لدقتها في استحضار الأبعاد الثلاثة المطلوبة وهي الزمان والمكان والموضوع، إضافة إلى بعد المجتمع الذي يغيب عن كثير من المصادر الأخرى(□). وللوقوف عند الأهمية العلمية لهذه الوثائق، تفحصنا مجموعة من وقفيات مخطوطات القرويين دون اختيار وحاولنا أن نتعرف على شكلها ووضعيتها الحالية، وأهم عناصرها، ونسبة جودة خطها، والحالة التي توجد عليها الأوراق التي كتبت فيها، والمركز الاجتماعي للأشخاص المحبسين، وأهم الجهات المحبس عليها، والمكونات الأساسية لهذه الوقفيات، وشروط التحبيس والاستفادة . وهذه العناصر لها أهمية كبيرة في حماية الكتب المحبسة من الضياع وتساهم في الحفاظ على

الموروث الفكري المغربي والإسلامي وتنميته. فماهي الخصائص العامة للوثيقة الحبسية؟ وما أهميتها العلمية؟

I - الوثيقة الحبسية: الوضعية والحالة والخط.

- **معنى الوثيقة الحبسية:**

الوثيقة أو الوقفية الحبسية هي بمثابة نص افتتاحي تحذيري لكل متصفح للكتاب. فبعد قراءة العنوان المكتوب على الغلاف الخارجي وفي الصفحة الأولى، أحيانا، يصادف القارئ نص الوثيقة المكتوب في حيز يثير الانتباه والفضول، ويجر القارئ إلى معرفة مضمونه.

وبدون شك، وبمجرد الانتهاء من قراءة نص الوثيقة، تتغير نظرة المتصفح ، كيفما كانت درجته العلمية، تجاه الكتاب ويصبح ملزما بالحفاظ عليه من كل ما قد يلحقه من أضرار صغيرة أو كبيرة من سرقة مثلا أو تمزيق لبعض أوراقه أو تشطيب لبعض فقراته أو زيادة فيها او تحريف لمضمونها أو... وغير ذلك من الآفات، وكما قيل:

عليك بالحفظ دون العلم في كتب +++ فإن للكتب آفات تفرقـها

اللص يسرقها والفأر يخرقـــها +++ والنار تحرقها والماء يغرقها[بر].

- **وضعية الوثيقة في الصفحة وحالتها**

كتبت بعض الوقفيات على الصفحات الأولى من الكتب المحبسة منفردة، وبعضها كتب في أوراق خاصة وألصق على الصفحات الأولى من الكتب، أي أن ورقها لا يشبه الورق الأصلي من حيث جودته وحتى لونه مما يعني أن الوثيقة أعيدت كتابتها وألصقت على الكتاب، ودائما منفردة. ومن خلال الوثائق التي اطلعنا عليها، فإن هذا النوع من الوقفيات يمثل 49.33% من مجموع الوثائق. أما باقي الوثائق ، والتي تمثل 50.66% من مجموع الوقفيات فإنها كتبت في الصفحات الأولى أو في الثانية ، وهذه الأخيرة قليلة

جدا، إما إلى جانب العنوان، أو إلى جانب الشروحات المقدمة للكتاب، أو على هامش متن الورقة.

وقد لاحظنا أن الوقفيات التي كتبت في صفحات منفردة معظمها لازال في حالة جيدةأو مقبولة. أما الوقفيات التي اشتركت في صفحات مع العنوان أو المتن فقد أصيبت بأضرار متفاوتة، وقليل منها من بقي في حالة جيدة، وبعضها أصبح ضائعا لا يمكن قراءته.

وإجمالا تبين لنا من خلال الدراسة التي قمنا بها أن 30.26% من الوثائق لا تزال في حالة جيدة، و35.57% لا زالت صالحة للاستعمال ويمكن قراءتها، و 6.57% في حالة مقبولة (لابأس بها)، و 21.05% هي في طريق الضياع والاندثار، و 6.57% ضائعة لا يمكن الاستفادة منها. وللإشارة فإن البعض من الوثائق الضائعة تم استبدالها بوثائق استرعائية، مثل وقفية المخطوط رقم 622 التي أصابها محو فكتب في أسفلها وثيقة استرعائية بتاريخ 1264هـ/ 1848م تؤكد على أن الكتاب من أحباس خزانة القرويين. كما أن

وثيقة المخطوط رقم 668 كتبت بخط جديد عوضا عن الضائع.

على أن حالة الوثائق، وخاصة الضائعة منها، ارتبط كذلك بحالة الورقة التي كتبت فيها. فقد لاحظنا أن بعض الوثائق ضائعة لأن الورقة التي كتبت فيها ضاعت بسبب التّسوّس والخدوش الكثيرة التي أصابتها، كما لاحظنا في نفس الوقت أن بعض الوثائق بقيت في حالة جيدة لأن الورقة التي كتبت فيها لم تصبها خرومات أو تسوّس، ووجدنا بعض الوثائق بقيت جيدة أو صالحة رغم الضياع الذي أصاب الورقة التي كتبت فيها مثل وثيقة تحبيس السلطان مولاي عبد الله للسفر الثاني من "مشارق الأنوار على صحاح الأثار" للقاضي عياض، والتي لم يتبق منها إلا الجزء الذي كتبت فيه الوثيقة. وعموما فقد تبين لنا حسابيا أن 29.72% من الأوراق التي كتبت فيها الوثائق لازالت في حالة جيدة، وأن 47.29% منها لازالت صالحة، و21.62% هي في طريق الضياع، و1.35% فقط هي نسبة الأوراق الضائعة.

إن المقارنة بين نسبة حالة الوقفيات وحالة الأوراق التي كتبت فيها نستخلص منها الأهمية التي كانت تعطى لهذه الوثائق، بحيث بقي الكثير منها سالما رغم الضياع الدي أصاب بعض الأوراق، وبالتالي تتضح أهميتها المعنوية في حماية الكتاب من الضياع، ومن خلاله حماية وتنمية التراث الفكري الذي تحمله هذه المخطوطات بصفة عامة.

وتدل الطريقة التي كتبت بها هذه الوقفيات على حرص المحبسين على إثارة انتباه القرّاء إليها، وعلى إدراكهم لأهميتها في حماية الكتاب من الأضرار المختلفة. لأن وضعية الوثيقة في الورقة مثير جدا، ولا يمكن ألا يراها أو يتجاهلها حتى أكثر المتصفحين غفلة. كما أن وضعيتها، وخاصة بالنسبة للنوع المكتوب مع العنوان أو مع متن الورقة[تر]، يصعب تمزيقه أو تشطيبه لأن ذلك سيؤدي إلى ضياع ورقة كاملة من الكتاب ينتج عنه طرح عدة تساؤلات حول أسباب

ضياعها، خاصة إذا كانت حالة أوراق الكتاب في حالة جيدة.

- **نوعية خط الوثيقة**

كتبت بعض الوثائق بخط مغربي أو اندلسي أو مشرقي جميل داخل إطار بالأحمر والأسودأو بالأحمر والأخضر، وبعضها كتب إلى يمين العنوانأو إلى يمين متن الورقة، وبعضها مكتوب إلى يسار العنوانأو إلى يسار متن الورقة، ومنها من كتب في أعلى الورقةأو في أسفلها، وبعضها كتب في جهتين: في أعلا ويمين الورقة، أو في أعلا ويسار الورقة، أو في أسفل ويمين الورقة، أو في أسفل ويسار الورقة. كما كتب البعض منها بشكل طولي على اليمين أو اليسار تتم قراءته من الأعلى إلى الأسفل، أو بشكل معكوس من الأسفل إلى الأعلى، وبعض الوثائق مكتوب في الأعلى بطريقة معكوسة. والمؤكد أن كاتب الوثيقة سواء كان المحبس نفسه أو من ينوب عنه لم يتعمد هذه الطريقة في الكتابة بل كان فقط يبحث عن المكان الفارغ في الورقة ليرسم فيه

الوقفية دون أن يدرك أن الطريقة والمكان اللذين اختارهما مثيران للانتباه وسيكونان من أسباب حماية الكتاب من الضياع.

ويظهر من خلال خط هذه الوثائق أن المحبسين أو الذين نابوا عنهم في كتابتها، خاصة نظار الأوقاف وكتابهم، والقيمون على المكتبات، كانوا يحرصون على ووضوح الخط[يز] حتى تسهل قراءة الوثيقة من طرف الجميع وبدون عناء. فقد لاحظنا أن 48% من الوثائق خطها جيد، و22.66% خطها لابأس به، و17.33% خطها متوسط، أما الوثائق التي خطها رديء فلا تمثل سوى 12% .

إن نوعية الخط ونسبة جودته، والعبارات الواردة في الوثائق، وطريقة كتابة الكلمات، أو بتعبير آخر عدد كلمات السطر الواحد، أدى إلى اختلاف الوقفيات من حيث حجمها. ولتوضيح ذلك عمدنا إلى اعتبار كل وثيقة يقل عدد سطورها عن ثلاثة قصيرة، وما بين ثلاثة وستة سطور

متوسطة، أما الوثائق التي يتعدى عدد سطورها الستة فهي طويلة. وبعد القيام بعمليات حسابية اتضح لنا أن نسبة الوثائق الطويلة تمثل 48.61% من مجموع الوثائق التي اطلعنا عليها، والوثائق المتوسطة تمثل 37.5%، أما الوثائق القصيرة فنسبتها 13.88%، علما أننا وقفنا على وثيقتين شغلت كل واحدة منهما، تقريبا، ورقة كاملة (صفحة) وهما خاصتين بكتابين أصبحا موقوفين بعد شرائهما: أحدهما اشتراه سيدي محمد بن سيدي عبد الخالق الفيلالي وباعه للفقيه السيد أحمد الداهش التونسي الذي حبسه على خزانة جامع القرويين ، والثاني هو فتح الباري لشرح صحيح البخاري لابن حجر الذي تملّكه عبيد اللّه بن علي ثم انتقلت ملكيته لمحمد بن عبد الجبار السجلماسي ثم إلى محمد بن الخياط الحرشي عن طريق الشراء، وهذا الأخير باعه للشريف مولاي مسعود بن مولاي محمد الطاهر الحسني الجوطي، وحبسه على خزانة مسجد سيدي عبد الرحمان البياض. وبسبب ذكر جميع تفاصيل البيع والشراء التي تمت بين الأطراف المعنية قبل وصول الكتاب إلى الجهة الموقوف عليها جاءت الوقفيتان

طويلتان. كما أن بعض الوثائق بالرغم من قلة عدد كلماتها فإنها في شكلها تظهر طويلة وذلك بسبب نوعية الخط مثل وقفية كتاب "حاشية التفزاتاني"، ووقفية "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"، والوقفية الموجودة في كتاب تفسير الفقهاء للغزنوي، فقد لاحظنا أن الوثيقتين الأوليتين مكتوبتان بخط جميل كلماته طويلة ولا يتجاوز عددها عشرة في السطر الواحد، أما الثالثة فخطها يميل إلى الرداءة وحروفه طويلة ولا يتجاوز عدد كلمات السطر الواحد ثمانية. كما وقفنا على وثيقة بخط متوسط الجودة شغلت لوحدها صفحة كاملة رغم أن عدد كلمات السطر الواحد لا يتعدى ثمانية.

II - مكونات الوقفية (عناصر الوثيقة)

- **التقديم**

تتجلى أهمية الوثيقة في عناصرها الأساسية، وفي العبارات التي تحملها. وقد لاحظنا أن معظم الوثائق التي اطلعنا عليها تحمل اسم المحبس والشيء الموقوف عليه، واسم

الكتاب واسم المؤلف، وتذكر عدد أجزاء الكتاب ،إن وجدت، وموضوعاتها، كما تحمل عبارات تعطي للكتاب حماية معنوية.

تبتدئ معظم الوثائق بالحمدلة مثل: "الحمد لله حبس"، و"الحمد لله في علم كاتبه وصحة يقينه"، و"الحمد لله أشهد المكرم"، و"الحمد لله ممن يعلم ويتحقق"، و"الحمد لله عهدت وأوصت"، مع بعض الاستثناءات النادرة والتي تفتح فيها الوقفية بعبارة "يشهد من يضع اسمه".

- **اسم المحبس ومكانته في المجتمع**

تذكر الوثيقة اسم المحبس مباشرة بعد التقديم. وبما أن المحبسين كانوا من مراكز اجتماعية مختلفة منهم السلاطين والأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء العلماء والشرفاء والعامة من المجتمع. فإن صيغة تقديم الوثيقة تختلف حسب قيمة هؤلاء اجتماعيا. ولذلك استعملت مصطلحات متنوعة مثل: "مولانا السلطان"(سم)، و"مولانا أمير المؤمنين"،

و"الفقيه العالم"، و"أمير الركب"، و"القائد المعظم"، و"الشريف الفاضل"، و"الطالب الأرضى النزيه"، و"مولانا الإمام" ـ وهي الأكثر استعمالا، و"الخليفة الأفخم"، و"السيدة فلانة ...".

وتفاديا للشك في مصداقية المحبس أو مطالبة الورثة من ذوي الحاجة باسترجاع الكتاب، خاصة إذا تم تحبيسه أو بيعه دون علم منهم(شم)، يشترط في المحبس أن يكون في كامل قواه العقلية أثناء إقدامه على تحبيس الكتاب لاسيما وأن بعض المحبسين وقفوا كتبهم وهم في حالة مرض. لذلك استعملت عبارات تدل على أن المحبس يدرك ويعرف ما يقوم به، مثل : "وهو بأشرف الأحوال"، "وهو في صحة العقل وكامل الميز"، "وهو بأكمل الأحوال"، "وهو بأكمله وعرفه وانتصابه".

ويكون التحبيس إما شخصيا أي من طرف الشخص المحبس، وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الوقفيات التي

وقفنا عليها تشير إلى حرص المحبسين على تحبيس كتبهم شخصيا، أو يكونالتحبيس بالنيابة[٢] أو عن طريق وصية مكتوبة أو شفوية[١]. ولا تصبح وصية المحبس قابلة للتنفيذ إلا بعد وفاته، بدليل أن الناظر السيد الحاج عبد القادر بن الحاج المهدي بناني لم يقم بحيازة كتاب "الموطأ" الذي أوصت السيدة عائشة بنت سيدي المدني الحمومي بوقفه على القرويين إلا بعد وفاتها كما جاء في الوثيقة :"وتأخر حوز الإشهاد على الناظر المذكور لتأخر موت المرأة المذكورة لآخر حجة عام ستة وسبعين ومائة وألف"[1763.2م]، علما أن بعض الوقفيات لم يذكر فيها اسم المحبس مثل وقفية المخطوط رقم 668، والمخطوط رقم 713.

- **المادة المحبسة**

تنتقل الوثيقة إلى ذكر الشيء الموقوف، أي الكتاب، وهنا تتم الإشارة إلى عنوان الكتاب واسم المؤلف، وفي بعض

الأحيان يتم تحديد بعض مواصفاته مثل مواضيع الكتاب، وعدد أجزائه إن وجدت. ولذلك يمكن اعتبار هذا العنصر ذا أهمية بالغة لأنه يشكل حماية للكتب من السرقة التي لحقت الكثير منها أو على الأقل بعض أجزائها. ويكون ذكر الشيء الموقوف مقرونا بذكر الجهة المحبس عليها، ويتعلق الأمر هنا بخزانات جوامع ومساجد ومدارس فاس، وبالزوايا ، وبالأولاد والعقب[1].

وبعملية حسابية تبين لنا أن خزانة القرويين كان لها نصيب الأسد من الكتب الموقفة بنسبة 64%، وبعدها نجد مسجد سيدي عبد الرحمان البياض ب 5.33% ، ثم مسجد الرصيف الأعظم ب 4% ، بينما كان نصيب مسجد سيدي عباد ومسجد مالقا وخزانات المدارس والزوايا والأولاد والعقب 1.33% لكل واحدة من هذه المؤسسات والجهات، علما أن بعض الوثائق لم يرد فيها ذكر جهة التحبيس أو تمت الإشارة إلى ذلك بطريقة يشوبها نوع من الغموض مثل : "على طلبة أهل

العلم" دون ذكر المكان، أو "على طلبة أهل العلم الذين بمحروسة فاس".

إن تخصيص هذه النسبة العالية من الكتب لخزانة جامع القرويين يدل على المكانة العلمية لهذه المؤسسة التي كانت تدور عليها الحياة العقلية منذ قرون(□□)، وكان لها الفضل في تخريج أفواج من العلماء ولاسيما طائفة الفقهاء(□□).

- **شروط التحبيس: الفئات المعنية وأوقات الاستفادة.**

وتأتي الإشارة إلى شروط التحبيس كنوع من أنواع الحماية للكتاب من الضياع لأنها تشير إلى الفئات المعنية بالاستفادة، وإلى كيفية الاستفادة من الكتاب الموقوف، وفي بعض الحالات تُذكّر الوقفيات حتى بأوقات الاستفادة.

أ - الفئات المعنية بالاستفادة:

تتمثل أساسا في طلبة العلم والعلماء والفقهاء والأساتذة، لكن الوثائق تركز كثيرا على مصطلح الطلبة وبصيغ مختلفة مثل : "طلبة العلم"، "طلبة العلم الشريف وذويه"، "لينتفع به من أراد من الطلبة"، "لينتفع به من كان هناك"، "من يقرأ فيه من طلبة العلم الشريف ومجاز"، "لينتفع به طلبة العلم الذين هم بمحروسة فاس"، "لمن فيه قابلية العلم"، "لينتفع به من أهلية لتعاطي العلم الشريف"، "على من يقرأ فيه من طلبة العلم"، "لينتفع به ذكرا وتذكرا"، "ينتفع به من يحتاج إليه من طلبة العلم"... ويظهر من خلال هذه الصيغ أن بعض المحبسين كانوا يعلمون جيدا المكانة العلمية لفاس التي كانت مركزا علميا يؤمه الطلبة والعلماء من المغرب ومن خارجه ولذلك تركوا باب الانتفاع مفتوحا لجميع الفئات والمناطق تلافيا لتأويلات الفقهاء، ولم يستبعد أحد الباحثين أن يكون المقصود بطلبة العلم هو منع المتفقهين ودعاة العلم من الاستفادة من الكتاب(برﷺ)، إلا أننا وقفنا على وقفية

مثبتة على كتاب "تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين" للرصاع" تشير إلى انتفاع الفقهاء والعلماء المدرسين من الكتاب كما يفهم من نص الوقفية :" ... بحيث أنه يقرأ فيه على الكرسي المعد هنالك كل يوم بعد صلاة الصبح ..."، مما يدل على أن الكراسي كانت مخصصة للأساتذة الأكفاء(تر□) ومن هنا نرى أن هذه الفئة وأمثالها من الفقهاء والعلماء والقضاة ... لم تكن مقصية من الاستفادة.

إن تركيز المحبسين على ذكر الطلبة في وقفياتهم يدل على إدراك هؤلاء لأهمية هذه الفئة في حمل مشعل الثقافة، وتوقيف الكتب لفائدتهم هو عامل ساهم في توفير المادة الأولية لهؤلاء المتعلمين، وساهم بالتالي في تكوين وتخريج عدد كبير من العلماء في مختلف التخصصات العلمية، وكان له أثر بالغ في تنمية وتطوير المجال الفكري.

ب - طرق وأوقات الاستفادة من الكتب المحبسة:

- + طرق الاستفادة

تختلف شروط وأوقات الاستفادة حسب رغبة المحبسين. فالبعض منهم اشترط أن تكون الاستفادة من الكتاب داخل خزانة مسجد القرويين و "أن لا يخرج عن حريم المسجد المذكور وأن يطالع هناك"، والغاية من ذلك هو الحفاظ عليها واستفادة الناس منها عوض استغلالها من طرف شخص واحد(يرجى)، والبعض اشترط الاستفادة من الكتاب قراءة ومطالعة دون نسخه مثل هذه الوقفية التي جاء فيها :"على من يقرأ فيه من طلبة العلم وينتفع بأنواع الانتفاعات العلمية كلها ... لا يعقبه فسخ ولا يصدقه نسخ"(سمح)، والبعض الآخر رخص للطلبة المطالعة والقراءة والنسخ :" لينتفع به طلاب العلم نسخا وقراءة ومطالعة"، على أن البعض من هؤلاء المحبسين الذين رخصوا استنساخ الكتب اشترطوا أن يكون ذلك داخل

الجامع :"لينتفع به من رغب في التعليم بالقراءة والنسخ وما شاءوا ولا يخرج من الجامع". وفي الوقت نفسه كانت شروط البعض غامضة بحيث تذكر الوقفية القراءة والمطالعة وتضيف وغير ذلك دون توضيح القصد من جملة "وغير ذلك" كما جاء في هذه الوقفية :"لينتفع به من سائر الانتفاعات كلها قراءة ومطالعة وغير ذلك". على أن بعض المحبسين الذين أجازوا إخراج الكتب من الجهة المحبس عليها للاستفادة منها اشترطوا أن يكون ذلك في شكل إعارة(شم) و"برهن وثيق يحفظ صحته وألا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين وهي المدة التي تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته ثم يعاد إلى موضعه"(لم). وهذه الشروط تنقسم إلى أخلاقية ومادية: الشرط الأخلاقي ينص على أن يكون المستفيد معروفا بالصدق والأمانة ومن أهل المعرفة والعلم، وكما قيل:

أيها المستعير مني كتابا +++ ارضى لي فيه ما ترضى لنفسك(□□).

أما الشرط المادي فيتمثل في وضع مبلغ مالي أو كتاب بالخزانة في مقدار قيمة الكتاب الموقوف كما جاء في هذه الوقفية :"لا يخرج حرمها إلا لثقة أمين برهن وثيق يحفظ صحته"(□□).

+ أوقات الاستفادة

حدد بعض المحبسين أوقاتا معينة في اليوم للاستفادة من كتبهم. وعلى سبيل المثال فسيدي الحاج عبد الوهاب بن المكرم سيدي الحاج محمد بُزُوبَعْ حبس كتابه "تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين" عام 1133هـ/1721م على من يقرأ فيه على الكرسي المعد بمسجد سيدي البياض كل يوم بعد صلاة الصبح، ونفس الشيء بالنسبة لسيدي علال

الحسني الذي خصص كتابه "مصابيح السنة "عام 1213هـ/1798 -99م لينتفع به من يقرأ فيه قبل الشروق كل يوم بالكرسي المحدث بالمسجد الكبير بسوق الرصيف، أما أبو محمد سيدي عبد السلام السراج فقد اختار فترة ما بين العشاءين أي ما بين صلاتي المغرب والعشاء كوقت للمطالعة والقراءة في كتابه "تحفة الأخيار" الذي حبسه على مسجد سيدي محمد عباد عام 1133هـ/1721م. ويتضح من خلال هذه الأوقات أن فترات الاستفادة، أو لنقل الدراسة، كانت تنطلق مباشرة بعد صلاة الفجر وتمتد إلى ما بعد صلاة المغرب.

ومن خلال هذه الشروط ، وخاصة الشرط الثاني، نستخلص أن المحبسين كانوا حريصين أشد الحرص على حماية كتبهم من الضياع. فعدم السماح بإخراج الكتب من الخزانة يعني حمايتها من السرقة والإهمال الذي طال العديد منها، وعدم الترخيص باستنساخ الكتب معناه حماية موضوعاته من ذاتية المستنسخ(□ بر) إما بإضافة أو بتر أو تغيير لبعض مضامين

الكتب(□ بر). على أن ترخيص بعض المحبسين باستنساخ حرفي لكتبهم، دون أية إضافات، يعد كذلك فائدة مضافة للكتاب، لأن الكثير من الكتب أصابها تسوس وخرومات كثيرة مع مرور الوقت بسبب الأرضة والرطوبة(بر بر)، لذلك استنساخها يعد ضمانة لهذه الكتب من الضياع، والاستنساخ يلعب دور المطبعة حاليا، وهنا وجب التذكير بالدور الذي لعبته الأحباس في استنساخ بعض الكتب من مالها الخاص، مثل كتاب "فتح القريب المجيب للفيومي" الذي "استنسخه الناظر الأمين ناظر أحباس القرويين الطالب الأمين السيد الحاج عبد النبي بن الحاج أحمد بنيس لجانب الحبس لتلاشي أصله وصير عليه من وفرة الأحباس" في عام 1222هـ/1807م(تر بر)، وبدورها كذلك في شراء الكتب القيمة وتحبيسها على طلبة العلم مثل كتاب "البيان

والتحصيل لابن رشد" الذي اشتراه من مال الأحباس "الفقيه النزيه سيدي إدريس بن سيدي عزوز الأندلسي فمن وقف على ذلك وتحققه قيد ذلك ... عام اثنين وخمسين ومائة وألف [1739م]"(يربر)، كما أن بعض الكتب تكون نسخها قليلة والإقبال عليها كبير، واستنساخها يضمن الاستفادة لأكبر عدد من المقبلين عليها في أوقات وجيزة.

وتكون شروط التحبيس متبوعة بآيات قرآنية أو بعبارات تحمل معاني تنبه إلى ضرورة التمسك برغبة المحبس، وتشكل في الوقت نفسه حماية معنوية للكتاب من الضياع. ومن بين الآيات القرآنية تذكر الوقفيات آية من سورة الشعراء: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"(سمه بر)، كما تذكر جملا مقتبسة من سورة مريم : "إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون"(شمه بر)، ومن بين الجمل:" إلى أن يرث

اللّه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين". أما باقي العبارات الواردة والدالة على الحماية المعنوية فمن بينها :" ومن بدل وغير فاللّه حسيبه وسائله "أو "وهو سائله يوم يقف بين يديه"، أو "ومن بدل وغير فاللّه حسيبه وسائله ومتولي الانتقام منه"، أو "بحيث لا يبدل ولا يغير فمن سعى في تبديله أو تغييره فاللّه حسيبه"، أو "هو خير الوارثين سبحانه"، علما بأن وقفيات عديدة لم يرد فيها هذا النوع من العبارات الدالة على الحماية المعنوية من بينها: المخطوطات رقم 41 و 42 و 115 و 119 و 222 و 227 و 372 ج1 و397 و 398 و415 448 ج 1 ... وكلها بخزانة القرويين.

- **الغاية من تحبيس الكتاب**

بعد الشروط تأتي الغاية التي من أجلها وُقّف الكتاب وهي الحصول على الثواب والأجر والتقرب إلى اللّه. وهنا نسجل أيضا عبارات مختلفة ذات دلالة واحدة وهي مرضاة اللّه وثوابه الجسيم في الدار الآخرة. ومن أمثلة ذلك : "ليرجع ثواب ذلك ونفعه إن شاء اللّه عليه"، و"قصد به وجه اللّه

العظيم واللّه لا يضيع أجر المحسنين"، و"اللهم اجعله عليه بالبركة في الدين والدنيا والآخرة"، و"قصد بذلك وجه اللّه العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب"، و"قصد الثواب العميم من اللّه العظيم"، و"قصد بذلك وجه اللّه العظيم والدار الآخرة تقبل اللّه عمله وبلغه من خير الدارين"، و"ابتغاء وجه اللّه وجزيل ثوابه واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا"، وغيرها من العبارات التي تشكل بدورها حماية معنوية للكتاب وتشجع آخرين على وقف الكتب على الخزانات والمساجد والمدارس والجوامع...

- **الشهادة**

وتعتبر الشهادة من العناصر الهامة التي يرد ذكرها في الوقفيات لأنها بمثابة حجة على تسلم الكتاب وإدخاله إلى مؤسسة أو جهة التحبيس، زيادة على كونها تثبت صحة الوقف ومشروعيته. وتزداد أهميتها حينما يتم ذكر أسماء الشهود والعدول والنظار والقضاة الذين حضروا أو وقعوا على

تصريح المحبس. وتدلنا الوقفيات على عدة صيغ من الشهادة: ففي بعض الحالات يشهد المحبس على نفسه بنفسه، ولنا في وقفيات السلطان المولى الرشيد مثال على ذلك، إذ غالبا ما يتم الإشارة إلى شهادته الشخصية مثل :"وشهد بذلك أيده اللّه على نفسه"،"وأشهد أيده اللّه على نفسه وهو بحال كمال الإشهاد". وحتى في وقفيات العامة من الناس وجدنا شهادات من الشخص المحبس نفسه مثل حالة أبي عبد اللّه أحمد بن محمد بن علي الذي شهد على نفسه أنه وافق على تحبيس السفر الثاني من كتاب "الجامع الصحيح من حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم".

ومن خلال الوقفيات التي اطلعنا عليها كان السلاطين والملوك والأمراء يعينون، في كثير من الحالات، من ينوب عنهم في الشهادة . نقرأ في بعض وثائق التحبيس ما يلي : "شهد على مولانا المنصور"، أو "شهد بذلك على من ناب على مولانا المنصور"، أو "شهد عليه أيده بذلك من أشهده"، وفي بعض الحالات يتم ذكر اسم من ناب عن السلطان أو الأمير في الشهادة مثل أحمد بن نافع الذي ناب عن المولى

اليزيد في الشهادة أثناء تحبيسه للسفر الرابع من "صحيح البخاري"، وأثناء تحبيسه كتاب "الشفا" للقاضي عياض عام 1204/1789 -90م، ومولاي الحبيب بن مولاي عبد الهادي الذي ناب عن المولى سليمان أثناء تحبيسه للجزء الثاني من "جامع الترمذي" عام 1216هـ/ 1802م ، وأثناء تحبيسه للجزء الأول من "صحيح البخاري" في السنة نفسها.

وفي بعض الوقفيات تكون الشهادة من طرف القاضي والناظر وعدل أو أكثر وممن حضر أثناء تسليم الكتاب أو إدخاله إلى الخزانة مثل الشهادة الواردة في كتاب "الاكتفا" للكلاغي والذي حبسه الخليفة مولاي علي بن سيدي محمد بن عبد الله عام 1183هـ/1769 -70م : "... فمن شهد [محو في السطر] الناظر وهو الفقيه سيدي محمد المدعو الأصيب الفيلالي وعلى يد القاضي العلامة أبي عبد القادر بوخريص وعلى ناظر الأحباس الفقيه سيدي [محو] النشاط وعلى من حضر من [كلمة غامضة] الأبر سيدي الحاج محمد السراج والأرضى سيدي الحاج عزوز الشاوي...".

وفي حالة عجز المحبس عن التنقل إلى المؤسسة أو الجهة التي يرغب في تحبيس كتابه عليها، ينتقل إليه الناظر أو القيم أو العدول أو أشخاص عاديين لسماع شهادة تحبيسه، مثل حالة محمد بن عبد الصادق الدكالي العزفي الذي وقف الجزء الرابع من كتاب "فتح الباري لشرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني في منتصف شعبان عام 1175هـ/1761 -62م وهو مريض كما تخبرنا بذلك الوقفية :" الحمد لله هذا السفر الرابع من فتح الباري في شرح صحيح البخاري من الكتب التي حبسها العلامة محمد بن عبد الصادق الدكالي العزفي فمن سمع منه تحبيسه في مرضه الذي توفي منه قيد بذلك شهادته ...".

ومن خلال الوقفيات التي اطلعنا عليها تبين لنا أن 67.85% منها تتوفر على إشهاد أما 32.14% فهي بدون إشهاد.

- **الحيازة**

وبعملية حسابية للوثائق التي اطلعنا عليها، تبين لنا أن 39.28%منها لم يرد فيه ذكر الحيازة.تعد الحيازة مرحلة أخيرة وفعلية لتسلم الكتاب ودخوله إلى المؤسسة أو الجهة المعنية. وغالبا ما يتكلف بهذا الأمر قيم الخزانة(1)، أو الناظر، أو الناظر و القاضي (2)، أو ناظرين(3). وتكون الحيازة معاينة وبمحضر الشهود مع ذكر اسم القيم أو الناظر أو القاضي. فقد ورد في وقفية السفر الأول من "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن قاضي الجماعة بحضرة فاس الإدريسية السيد مولاي عبد الهادي بن مولاي عبد الله العلوي الحسني قد حبس الكتاب المذكور على خزانة جامع القرويين، وتمت الحيازة من طرف القيم الشريف الطيب بن سيدي عبد السلام

القادري الحسني حوزا تاما معاينة. كما ورد أن الناظر الحاج عبد القادر بن الحاج المهدي بناني قد حاز عام 1176هـ/17625 -63م "كتاب الموطأ" الذي أوقفته السيدة عائشة بنت سيدي المدني الحمومي معاينة وبمحضر شاهدين.

وفي حالة التحبيس بالوصية يتأخر حوز الكتاب إلى ما بعد وفاة الموصي. وتخبرنا الوقفيتان رقم 165 و 451 ج1 ، أن الناظر الحاج عبد القادر بن الحاج المهدي بناني تأخر في حوز الإشهاد لتأخر موت المرأة المحبسة، وهي السيدة عائشة بنت سيدي المدني الحمومي المذكورة سابقا، إلى آخر ذي الحجة عام 1176هـ/1762 -63م. علما أن المتوفية كانت قد أوصت بالتحبيس في حياتها.

وجرت العادة في الخزانات المغربية أن الكتب الموقوفة على المؤسسات العلمية تسلم للقيم مباشرة أما المصاحف والكتب الدينية فإنها تسلم لناظر الأحباس إذا

كان المحبسون من عامة الناس، أما الملوك والأمراء فيسلمون الكتب الموقوفة للقضاة[1].

- **تاريخ التحبيس**

وتختم الوقفيات بالإشارة إلى تاريخ التحبيس حيث يتم ذكر اليوم والشهر والسنة. ونسجل هنا، ومن خلال الوثائق التي اطلعنا عليها، أن 22.41% من الكتب تم تحبيسها في شهر رجب، يليه شهر جمادى الثانية ب 18.96% وبعدهما شهري صفر وذي الحجة ب 12.06% لكل واحد منهما، ثم شهري محرم ورمضان ب 6.89% لكل واحد، وشهري ربيع الثاني وجمادى الأولى ب 5.17%لكل واحد منهما، وشهري شعبان وشوال ب 3.44% للواحد منهما وأخيرا شهري ربيع الأول وذو القعدة ب 1.72% لكل شهر . أما السنوات فتحل سنة 1156هـ/1743م في المرتبة الأولى على اعتبار أن الحوالة الإسماعيلية[2] تشير إلى أن السلطان المولى عبد الله حبس

في شهر رجب من هذه السنة خمسمائة وستة وتسعين كتابا على خزانة جامع القرويين، غير أننا حينما بحثنا في كتاب "فهرس مخطوطات القرويين لم نعثر على هذا العدد. تليها سنتي 1175هـ/1761 -625م و1204هـ/1789 -901م، ثم سنتي 1082هـ/1671 -72م و 1217هـ/1802م.

وإذا أخذنا السنوات كمقياس فإن الحوالة الإسماعيلية تجرنا إلى الاعتقاد بأن السلطان المولى عبد الله هو أكثر السلاطين العلويين تحبيسا، لكن المصادر والدراسات تثبت أن نجله السلطان سيدي محمد هو الذي قام بأكبر عملية تحبيس لأنه قام بتوزيع إثني عشر ألف كتاب من خزانة جده المول إسماعيل على خزانات المغرب والتي لا يزال الكثير منها بخزانة القرويين (بر تر)، ليكون بذلك هذا السلطان العظيم قد ناب عن جده في عملية تحبيس الكتب على الخزانات المغربية، علما أننا لم نقف على أية وقفية للسلطان الأعظم

المولى إسماعيل في انتظار دراسات جديدة تعزز ما قلناه أو تنفيه.

وللإشارة فإن بعض الوقفيات لا تحمل تاريخ التحبيس، مثل وثيقة المخطوط رقم 162، والمخطوط رقم 222 ، و المخطوط رقم 713 ...

- **التوقيعات**

في أسفل بعض الوثائق توقيعين، ومعظمها بها أربع توقيعات، والبعض منها لا يحمل أي توقيع، كما أن البعض منها يحمل توقيع السلطان المولى عبد الله[ترتر]. وبعملية حسابية، ومن خلال اثنان وسبعين وثيقة، وجدنا أن 65.27% تحمل أربعة توقيعات، و16.66% تحمل توقيعين، و18.05% لا تحمل أي توقيع، وكتبت في هوامش بعضها جمل تنبه وتدعو إلى ضرورة الحفاظ علىالكتب من الأضرار البشرية والطبيعية مثل: "اتق الله في جميع ما تروم يا من تريد

الارتقاء في العلوم"(يرتر)، و" احفظ هذا الكتاب من السوس"(سمتر).

خلاصة

إن للوقفيات الخاصة بالكتب أهمية تاريخية تكمن في الكشف عن أسماء المخطوطات ومواضيعها وتواريخ كتابتها، وعن مؤلفيها ومواطنهم الأصلية، كما تُعرّف الباحث بعدد أجزاء المخطوط إن كان متعدد الأجزاء، وهذا كله يساعد المهتمين بعلم المخطوطات والمحققين. ومن جهة أخرى تكشف الوقفيات الحبسية عن أسماء بعض الموظفين والمسؤولين والقيمين منهم القضاة والنظار والعدول والكتاب والشهود خلال فترات محددة من تاريخ البلد ، وهي بذلك تقدم معلومات قيمة للباحثين في الحقل التاريخي. وتدل وقفيات الكتب دلالة قاطعة على اهتمام أفراد من جميع فئات المجتمع - أغنياء فقراء، متعلمون وغير متعلمين، أفراد الأسر

الحاكمة والشرفاء والتجار، قرويون وحضريون... - بتطوير الحركة العلمية وتنميتها، وهو ما تحقق في العهد العلوي خاصة في فترة السلاطين المولى عبد الله وابنه سدي محمد وحفيده المولى سليمان الذين ملأوا خزانات المساجد والجوامع والمدارس بمئات الكتب القيمة، لكن رغم هذه الأهمية فإن أضرارا كثيرة لحقت بالعديد من هذه الوقفيات مما عرض بعض المخطوطات للضياع.

إن ظاهرة تحبيس الكتب المتنوعة المواضيع وفر مادة خامة للمتعلمين في المؤسسات التعليمية المختلفة مما ساهم في تكوين وتخريج عدد كبير من العلماء في العلوم التي تناولتها هذه الكتب، وكانت بذلك عاملا فعالا في تطور الحركة العلمية، كما كان لها دور لا ينكر في حماية الموروث الفكري بصفة عامة وتطويره، فالكتب التي تم تحبيسها في عهد السعديين وفي مختلف أصناف المعارف انتقلت مفاتيح خزائنها لخلفائهم العلويين الذين عملوا على حمايتها إلى يومنا هذا وكانوا خير خلف لخير سلف بحيث لم يعملوا على طمس المقومات الثقافية للدولة السعدية بل دعموها ورسخوها

بكتب في نفس أصناف المعارف. ولعل الوثائق المختلفة التي تزخر بها الحوالة الإسماعيلية خير دليل على ذلك، مثل وثيقة تحبيس السلطان المولى عبد الله ل 596 كتابا، ووثيقة المولى إسماعيل التي تشير إلى إحصاء الكتب التي كانت محبسة في الخزانة الأحمدية منذ عهد السعديين والتي ترد فيها إشارات إلى عدد من الكتب وفي مختلف التخصصات العلمية وأهمها 12 مصحفا و 113 من كتب التفسير والقراءات، و 235 من كتب الحديث، و 31 كتاب من التصوف، و 222 من كتب الفقه، و284 من كتب النحو والبيان والأدب والتاريخ، و 63 كتاب من علم المنطق والأصول. و قد حرص نظار الأوقاف ، في عهد المولى إسماعيل، على إحصائها وتسجيلها في الحوالة الإسماعيلية حماية لها من الضياع.(شم تر)

ومن جهة أخرى إن الوقفيات تحمل جميع الدلائل التي تسهل عملية توظيفها في الكتابة التاريخية من خلال أبعادها الثلاث وهي: المجتمع والزمان والمكان، ومن خلال ما تحمله من توقيعات وشهادات تدل على مصداقيتها كما هو الشأن

بالنسبة لمصلحة المصادقة على الإمضاءات في وقتنا الحاضر، ولذلك فهي وسيلة لدوام واستمرارية هذه الكتب المحبسة إلى يومنا هذا.

وعلاوة على توفير الكتب والمساهمة في تكوين وتخريج العلماء والحفاظ على الموروث الفكري، فإنه للوقفيات الحبسية أهمية علمية كبيرة تكمن في تنوع مواضيع الكتب التي ثبتت فيها والتي شملت العلوم الشرعية، والتاريخية، والأدبية، والعقلية، واللسانية... ولذلك وجب حماية هذه الوقفيات وإعادة كتابة الضائعة منها وتثبيتها في صفحات مخطوطاتها لأن ذلك يعتبر أفضل وسيلة لحماية هذه المخطوطات من الضياع .

+ نماذج لبعض الوقفيات.

- وقفية للمولى اليزيد بن السلطان سيدي محمد بن عبد اللّه، وهي مكتوبة على أول ورقة من كتاب الشفا للقاضي عياض (خزانة القرويين رقم 259).

د/ الحسين ريوش بلحسن

+ صورة الوثيقة الأصلية:

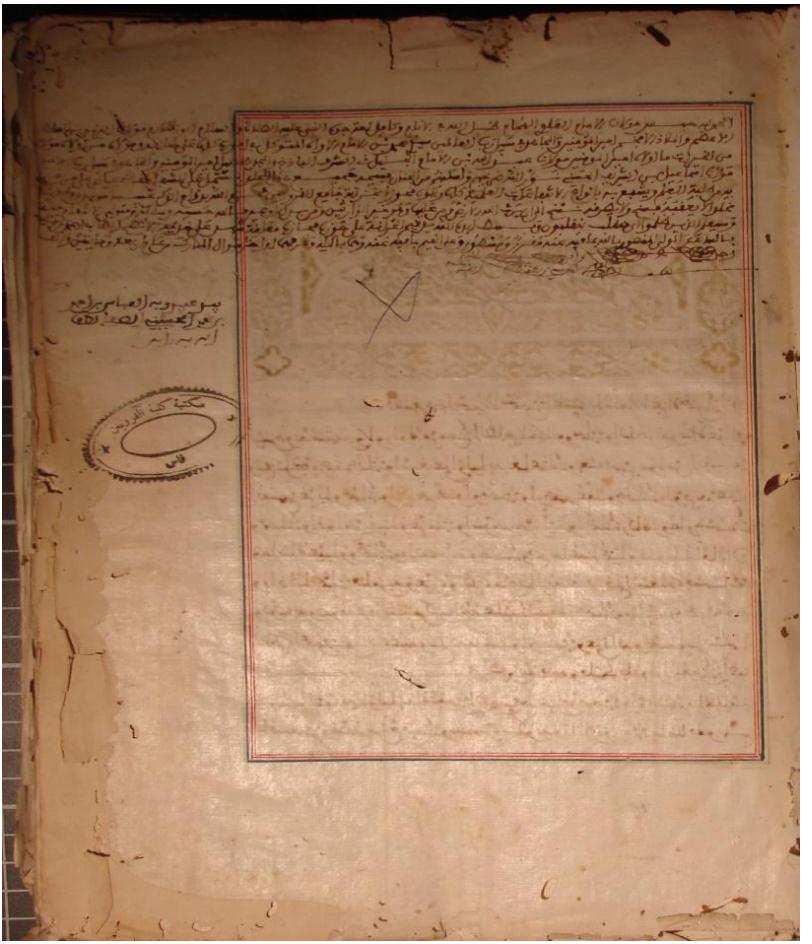

+ نص الوثيقة:

"الحمد لله حبس مولانا الإمام العلوي الهمام ظل الله في الأنام وكامل أمة جده النبي عليه الصلاة والسلام أبو (محو) مولانا اليزيد بن السلطان الأعظم والملاذ الأفخم أمير المؤمنين والمجاهد في سبيل رب العالمين سيدي محمد بن الإمام الأواه المتوكل في أموره كلها على خالقه ومولاه (كلمات غامضة) من الخيرات ما أولاه أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن الإمام الجليل في الشرف الباذج والمجد الأصيل أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العلمين مولانا إسماعيل الشريف الحسني نور الله ضريحهم وأسكنهم من الجنان فسيحه جميع هذا المجلد المشتمل على الشفا للقاضي عياض على من يقرأ فيه من طلبة العلم وينتفع به بأنواع الانتفاعات العلمية كلها ويكون حوزا بخزانة جامع القرويين عمره الله بدوام الذكر تحبيسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يعقبه فسخ ولا يصدقه نسخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن بدل وغير فالله حسيبه وسائله ومتولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وبسط أيده الله يد قيم الخزانة على حوزه

فحازه معاينة شهد على خديمه الأنصح الطالب أحمد بن (محو) بالنيابة عن المولى المنصور باللّه بما قيد عنه وهما بأكمله وعرفهما في أواخر شوال المبارك من عام أربعة ومائتين وألف [1789. 90م]".

وكتب أسفل الوثيقة: بيد عبد ربه العباس بن أحمد بن محمد الحسني لطف اللّه به آمين.

- ملحوظة: يوجد جزء كبير من الوثيقة في إطار مكون من ثلاثة خطوط: خطان أحمران والخط الخارجي يميل إلى اللون الأزرق.

- نموذج لوقفيات النساء: وقفية السيدة عائشة بنت سيدي المدني الحمومي وهي مكتوبة على الورقة الثانية من كتاب الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي (خزانة القرويين رقم 165).

+ صورة الوثيقة الأصلية:

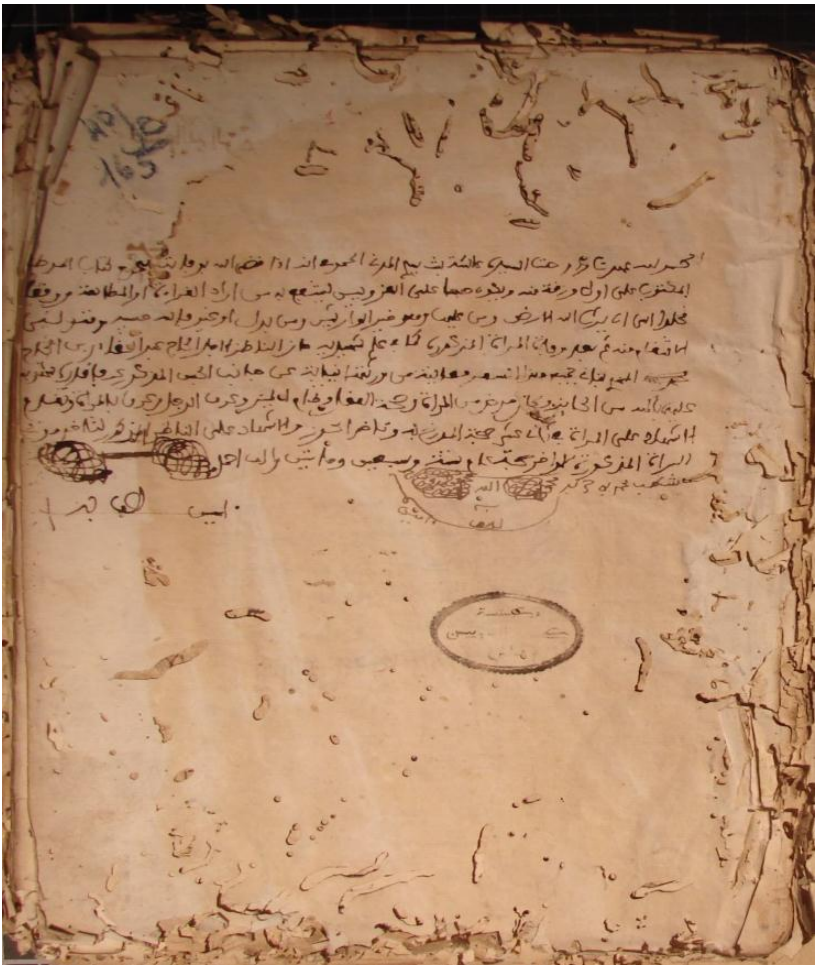

+ نص الوثيقة:

"الحمد لله عهدت وأوصت السيدة عائشة بنت سيدي المدني الحمومي أنه إذا قضى الله بوفاتها تخرج كتاب الموطأ المكتوب على أول ورقة منه ويكون حبسا على القرويين لينتفع به من أراد القراءة والمطالعة وقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن بدل أو غير فالله حسيبه ومتولي الانتقام منه بعد وفاة المرأة المذكورة كما في علم شهيديه حاز الناظر الأمين الحاج عبد القادر بن الحاج محمد (كلمة مشطب عليها) المهدي بناني جميع هذا السفر معاينة نيابة عن جانب الحبس المذكور عرف قدره شهد به عليها بأكمله من الحائز فكان مرض من المرأة وصحة العقل وكامل الميز وعرف الرجل وعرف بالمرأة وتقدم الإشهاد على المرأة في ثاني عشر حجة المؤرخ به وتأخر حوز الإشهاد على الناظر المذكور لتأخر موت المرأة المذكورة لآخر حجة عام ستة وسبعين ومائة وألف [1762. 63م]".

نموذج لوقفيات لحقتها أضرار:

د/ الحسين ريوش بلحسن

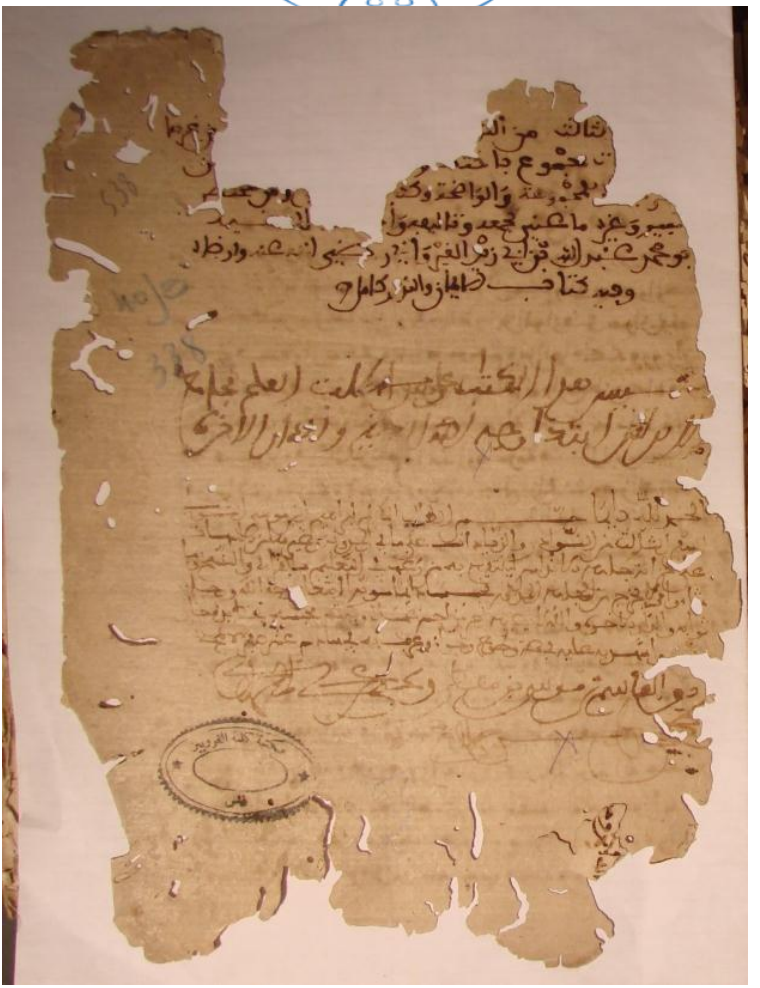

الهوامش:

(□) -للمزيد من الاطلاع، أنظر: الحسين ريوش: الوثيقة الحبسية والكتابة التاريخية، مجلة الرقيم، عدد 14، خريف 2016، العراق،ص:50 - 56 .

(2). الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102هـ/ 1691.1690م): القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. تحقيق وتعليق وفهرسة وتقديم: حميد حماني، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء 1419هـ/1998م، ص.438.

(3) - بعض الوثائق كلماتها متداخلة مع سطور ورقة الكتاب مثل وقفية المخطوط رقم 313 بخزانة القرويين.

(4) ـ يلح اليوسي على ضرورة جودة الخط أثناء نسخ الكتب، ويحدد بعض شروط الخط الجيد وإيجابياته.(القانون، م.س، ص: 440).

(5) - على سبيل المثال فإن محمد بن عبد الجبار السجلماسي ورث نسخة من كتاب "فتح الباري لشرح صحيح البخاري" من أبيه وباعه لمحمد بن الخياط الحرشي في عام 1130هـ/1718م ، وهذا الأخير باعه لمولاي مسعود بن سيدي محمد الطاهر سنة 1133هـ والذي حبسه على خزانة مسجد سيدي عبد الرحمان البياض في رجب عام 1140هـ/1728م. أنظر :مخطوط رقم 102 ج 1 بخزانة القرويين.

(6) - توجد عدة وقفيات تحمل توقيع السلطان مولاي عبد الله مثل الموجودة في المخطوطات رقم: 63 و 121 و 306 و437.

(7) - مثل الوثائق الموجودة في المخطوطات التالية: 64، 185، 250، 96 بخزانة القرويين. ومن العبارات الواردة في التحبيس بالنيابة نشير إلى ما ورد في الوثيقة رقم 58: "الحمد لله أشهد الفقيه المجد العلامة الأفضل المدرس الأمثل النحرير الفهامة الأنبل البركة ... الشريف ... قاضي الجماعة بحضرة فاس الإدريسية الغراء ونواحيها مولاي عبد الهادي بن العلامة المشارك المرحوم بكرم الله مولاي عبد الله العلوي الحسني أنه حبس نيابة عمن قصد الثواب العميم هذا السفر ..." . كما جاء في صيغة تحبيس بالنيابة للمولى سليمان ما يلي: "حبس مولانا السلطان الأعظم فخر ملوك العرب والعجم عالم العلماء وأمير الأمراء سيدنا مولانا سليمان ... جميع الجزء الأول من صحيح البخاري ... على المسجد الأعظم ... (وذلك بواسطة الشريف الأجل العالم الأفضل سيدي الحبيب ..." رقم 96.

(8) - جاء في الوثيقة رقم 457 ج بخزانة القرويين3:" حسبما هو في وصية بخط يده وعظها عليه كاتبه".

(9) - بالنسبة لهذا النوع الأخير، أي الوقف المعقب، حبس المغاربة الكتب على الأسر والعلماء. فقد جاء في وقفية كتاب "شرح المختصر " لجسوس أن العالم سيدي محمد بن سيدي قاسم جسوس حبس هذا الكتاب على أولاده وأولاد أولادهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم فإن انقرضوا رجع إلى خزانة القرويين. " (المخطوط رقم 457 ج 3). كما أن السلطان المولى سليمان اشترى خزانة العالم محمد بن عبد السلام الفاسي بعد وفاته 1214هـ/1799.1800م، وحبسها على أولاده. ونصت وثيقة تحبيسه الموجودة بكتاب تفسير الجلالين على انتقال هذه الخزانة إلى أحباس خزانة القرويين بعد انقراض جميع أفراد أسرة هذا العالم. ويعرف هذا الوقف بالوقف المعقب . (_ محمد عابد الفاسي: الخزانة العلمية بالمغرب. مطبعة الرسالة، الرباط_ المغرب 1380هـ/1960م.، ص. 57).

(10) القادري، التقاط، م.س، ص.111.

(11) - لوطورنو روجي: فاس قبل الحماية. ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت_ لبنان 1986 ، ج 2، ص.654.

(12) -أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الطبعة الأولى 1993، ص. 48.

(13) - تحدث عبد الهادي التازي عن عدد الكراسي وأهميتها وعن المتحلقين حولها فقال :" كانت المجالس العلمية تعني وجود كرسي يصعد عليه الأستاذ ليتمكن من تبليغ رسالته وخاصة منها المجالس التي يناهز عدد الحضور فيها المائتين والثلاث مائة من الطلبة" _ عبد الهادي التازي: جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، بيروت_ لبنان. ج 2، ص.370.

(14) -أحمد شوقي بنبين ، م.س، ص. 49.

(15) - وقفية المخطوط رقم 259 بخزانة القرويين. وقد جاء في المعيار أن الفقيه أحمد القباب سئل عن وقفية اشترط فيها الواقف أن يقرأ كتابه ويطالع فقط ولم يذكر النسخ فهل يجوز نسخه. قال: إذا لم تذكر الوقفية النسخ فلا ينسخ الكتاب. ثم أضاف: إن القاضي ابن رشد الجد ألقي عليه نفس السؤال فكان الجواب ما قلت. (الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط_ المغرب 1401هـ/1981م، ج 7، ص. 37.)

(16)- اختلفت الآراء حول إعارة الكتب بين مؤيد ومعارض، ولكل اتجاه مبرراته. للمزيد من الاطلاع تنظر: اليوسي، القانون، م.س، ص. 438.439.

(17) -وقفية المخطوط رقم 362 ج 5 بخزانة القرويين، وهي لابن خلدون.

(18)- اليوسي، القانون، م.س، ص.439.

(19) -وقفية المخطوط رقم 362 ج 5 بخزانة القرويين، وهي لابن خلدون.

(20)-أدى استنساخ المخطوطات عبر العصور إلى الكثير من الإضافات والتغيير والحذف والتبديل شوه النصوص أحيانا وغيرها تغييرا كاملا أحيانا أخرى. (بنبين، م.س، ص. 29). ويقول القاضي عياض حول عملية النسخ :" ... ولا يحل للمسلم التقي الرواية ما لم يقابل بأصل شيخه أو نسخة تحقق وثق بمقابلتها بالأصل، وتكون مقابلة لذلك مع الثقة المأمون ما ينظر فيه [...] فليقابل نسخته من الأصل بنفسه حرفا حرفا حتى يكون على ثقة ويقين من معارضتها ومطابقتها ولا ينخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابلة ، نعم ولا نسخ نفسه بيده ما لم يقابل ويصحح، فإن الفكر يذهب والقلب يسهو، والنظر يزيغ والقلم يطغى".(القاضي عياض بن موسى (ت.544هـ/1149.1150م): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر. نشر: مكتبة دار التراث، القاهرة 1389هـ/1970م. الطبعة الأولى، ص. 159 - 160. ودعا اليوسي إلى إقامة الحسبة على الناسخين حيث قال :"وما أحوج الناس إلى إقامة الحسبة على الناسخين، وقد اعتنوا بشربة لبن أن لا يزاد فيها ماء، وخبزة أن لا ينقص منا وزن قيراط، وأهملوا الكتب التي هي قوام الدين، ومرجع الأمر كله".(القانون، م.س، ص. 439).

(21) - من الكتب التي أدخلت عليها تعديلات أو أضيفت إليها تعاليق نذكر: المخطوط رقم 10"مفاتيح الغيب" الذي يتكون من أجزاء غير متناسقة وبعضها متكرر، والمخطوط رقم 41 الذي أدخلت على أوراقه الأخيرة إصلاحات، والمخطوط رقم 43 الذي بأوراقه إصلاح وتكميل بخط جديد، والمخطوط رقم 189 الذي يوجد ببعض أوراقه تنقيح شديد، ورقم 447 "حسن نتائج الفكر في كشف أسرار المختصر للزرقاني" الذي كتبت على هوامشه طرر وتعليقات مهمة لبعض العلماء المتأخرين، والمخطوط رقم 484 الذي تعرض لكثير من التحريف، والسفر السادس عشر من المخطوط رقم 655 الذي قال ناسخه أنه كتبه عن قلق لجانب أحباس القرويين، وغيرها من المخطوطات.

(22) -مثل المخطوط رقم 14، و23، و42، و88، و106، و162، و165 الذي هو على وشك الضياع بسبب التسوس الكثير الذي أصاب أوراقه، و195، و201 به تلاش وضياع وتمزيق، و241، و281، و437...)

(23) -وقفية رقم 201 بخزانة القرويين

(24) -وقفية المخطوط رقم 372 ج 1 بخزانة القرويين.

(25) -الآية 227. أنظر وقفيات المخطوطات التالية : 185 و 250 و 290 و 447 ج 1 و 58 و 96 و 259 ... بخزانة القرويين.

(26) - الآية رقم 40.

(27) - جاء في كثير من الوقفيات ما يلي: "وبسط أيده الله (يقصد السلطان المولى عبد الله) يد قيم الخزانة فحازه كما يجب". (المخطوط رقم1 بخزانة القرويين)، أو "وبسط أيده الله يد قيم الخزانة" (يقصد السلطان المولى الرشيد).

(المخطوط رقم 162 بخزانة القرويين). أو "وبخط يد قيمها الآن الذي بها على حوز الأسفار المذكورة بحوزها فحاز جميعهم معاينة حوزا تاما". (المخطوط رقم 37 بخزانة القرويين).

(28) - مثل الجزء الرابع من كتاب" الاكتفا" للكلاعي الذي حازه كل من القاضي عبد القادر بوخريص والناظر الحاج عزوز الشاوي. المخطوط رقم 281 ج 4 بخزانة القرويين.

(29) -جاء في وقفية المولى سليمان في كتاب "الشفا " للقاضي عياض :"وبسط يد ناظريه الفقيهين الأمثلين سيدي محمد بن سيدي محمد بن عبد الرحمان الطلاوي وسيدي الطيب بن الخياط برادة على حوزه . وقفية المخطوط رقم 250 بخزانة القرويين.

(30) - بنعلة مصطفي: تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب على عصر السعديين، حوالات تارودانت وفاس نموذجا. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ 2002م، ص.519، وأيضا بنبين، م.س، ص. 52.

(31) -الحوالة الإسماعيلية رقم 46، نظارة أوقاف فاس، فاس_ المغرب، ص. 60.

(32) - للمزيد من الاطلاع أنظر: ابن زيدان عبد الرحمان العلوي: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط_ المغرب 1929 - 1933م، ج 3، ص. 185. وأيضا بنبين، م.س، ص. 47.

(33) -أنظر الوقفيات التالية: 36 و43 و 59 و162 و 178 و 222 و253 و 259 و 304 و313 و 362 و 372 و 394 بخزانة القرويين.

(34) - وقفية المخطوط رقم 58 بخزانة القرويين.

(35) -وقفية المخطوط رقم 60 بخزانة القرويين.

(36) الحوالة الإسماعيلية ص. 414.

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم برواية الإمام ورش.

_ بنبين أحمد شوقي: دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي. المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش_ المغرب، الطبعة الأولى 1992م، الطبعة الثانية 2004م.

_ بنعلة مصطفي: تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب على عصر السعديين، حوالات تارودانت وفاس نموذجا. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ 2002م.(منشورة).

_ التازي عبد الهادي: جامع القروين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، بيروت_ لبنان، (د.ت).

_ الحوالة الإسماعيلية رقم 46، نظارة أوقاف فاس، فاس_ المغرب.

_ خزانة القرويين، فاس_ المغرب.

_ ريوش الحسين: الوثيقة الحبسية والكتابة التاريخية، مقال بمجلة الرقيم، عدد 14، خريف 2016، العراق.

_ ابن زيدان عبد الرحمان العلوي (1365هـ/1946م): إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط_ المغرب 1929 -1933م.

_ الفاسي محمد عابد: الخزانة العلمية بالمغرب. مطبعة الرسالة، الرباط_ المغرب 1380هـ/1960م.

- القادري محمد بن الطيب (ت. 1773/1187): التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار الحادية والثانية عشر، جزآن، تحقيق هاشم العلوي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983.

_ القاضي عياض بن موسى (ت.544هـ/1149.1150م): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر. نشر: مكتبة دار الترا، القاهرة 1389هـ/1970م. الطبعة الأولى.

_ لوطورنو روجي: فاس قبل الحماية. ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت_ لبنان 1986.

_ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت.914هـ/1508م): المعيار المعرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط_ المغرب 1401هـ/1981م، ج 7.

_ اليوسي الحسن بن مسعود (ت. 1102هـ/ 1691.1690م): القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. تحقيق وتعليق وفهرسة وتقديم: حميد حماني، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء 1419هـ/1998م.